الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الأوربية خلال القرن 19م "بول صوليه أنموذجا"

أ/ مرجاني عبد القادر

المركز الجامعي أفلو (الأغواط)

ملخص:

كان للرحالة والمستكشفون دور كبير في توطيد دعائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ومن بين هؤلاء نجد بول صوليه الذي ولد بنيم (فرنسا) سنة 1842، وقام بعدة رحلات إلى إفريقيا ، ولكن أشهرها كانت رحلته الثانية من الجزائر إلى عين صالح بين سنتي 1873- 1874 حيث كلفته فيها المؤسسة العسكرية والغرفة التجارية في الجزائر باستكشاف واستطلاع الطرق التجارية الصحراوية والتسويق لمنتجاتهم، استطاع خلالها كسب الكثير من الصداقات ساهمت في تسهيل رحلته إلى داخل الصحراء، وفي طريقه زار كل من المدية، الجلفة، الأغواط، غرداية، متليلي، ورقلة، المنيعة، وعين صالح، وقد ساعد السلطات الفرنسية في التوغل إلى أعماق الصحراء الجزائرية عن طريق التقارير التي كان يرسلها إلى الغرفة التجارية بالجزائر،مدونا فيها ملاحظاته الهامة عن السكان وأصولهم وتاريخهم ومعيشتهم وحدودهم وطرقهم وتجارتهم ورؤسائهم.

Abstract:

The backpackers and explorers significant role in the consolidation of French colonialism in Algeria, and among these, we find Paul soleillet who was born Bnim (France) 1842.

He made several trips to Africa, but the most famous was his second trip from Algeria to the benefit of the eye between the years 1873-1874 where the cost of the military establishment and Chamber of Commerce in Algeria to explore and explore the desert and marketing of their products trade routes, which managed to earn a lot of friendships have contributed to facilitate his journey to the inside the desert ,On his way he visited all of Medea, Djelfa, Laghouat, Ghardaia, Metlili, Ouargla, Golea et In Saleh appointed, has the French authorities to penetrate deep into the Algerian desert helped by reports which were sent to the room of Commerce in Algeria, a blog where important for residents and their origins, history and livelihood and limitations and their ways and their trade and their superiors remarks.

المقدمة:

لقد قامت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وفق المقولة الشهيرة "يجب معرفة الناس للسيطرة عليهم وقيادتهم"، كما استهوى النشاط التجاري بين ضفتي الصحراء الشمالية والجنوبية القائم على أساس المبادلات التجارية خلال القرنين 18 و19م الأوربيين فعزموا على استعمارها والسيطرة على خيراتها، خاصة وأن فرنسا كانت لها مراكز تجارية ومحطات بالسنغال التي كانت قاعدة لنشاطاتهم التوسعية في غرب إفريقيا والتسلل إلى داخل القارة بحثا عن المعادن والعاج واقتناص العبيد وتصديرهم إلى أسواق أمريكا الشمالية. وفي سنة 1830 احتلت الجزائر في شمال إفريقيا من أجل تحقيق حلمها الرامي إلى تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف تمتد من سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى غاية سواحل غرب إفريقيا مرورا بالصحراء الكبرى فأرسلوا بعثات استكشافية متتالية إلى

الصحراء الجزائرية مكونة من رحالة وجغرافيين وضباط بهدف إعداد دراسات مستفيضة حول طرقها الرئيسية وظروفها السياسية والحضارية وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وتسجيل ذلك في كتبهم وتقاريرهم. ومن بين هؤلاء نجد المستكشف بول صولييه (Paul Soleillet) الذي قام برحلته إلى الصحراء الجزائرية انطلاقا من الأغواط وغرداية ثم متليلي وصولا إلى عين صالح، ولقد كان لرحلته الاستكشافية الكثير من النتائج على الصعيد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعلمي والعسكري، **فمن يكون بول صولييه؟ وما هي المهمة التي كلف بها؟ وما هي طريق رحلته؟ وما مدى استفادة السلطات الاستعمارية من رحلته؟**

1- التعريف ببول صولييه: هو جون جوزيف ماري ميشال بول صولييه((**Jean-Joseph-Marie-Michel-Paul soleillet**ولد بنيم (فرنسا) في 29 أفريل 1842موهو ابن لويس ميشال أمبرواز صولييه وأمه هي أنايس صولييه، قضى سنوات صغره ومراهقته وشبابه في أفينيون، ومنذ طفولته كانت له رغبة كبيرة في حب السفر والترحال والمغامراتإلى الأماكن المجهولة خاصة في إفريقيا، دخل الجيش الفرنسي سنة 1870 اختصاص مشاة، توفي بأدن 10 سبتمبر 1888م(1).

رحلاته: قام بول صولييه بثلاث رحلات خلال حياته.

الرحلة الأولى 1866- 1867: وفيها زار الجزائر وتونس لهدف تجاري، وقام بتسجيل عادات وتقاليد وأخلاق حضارات هذه الشعوب، أتقن خلالها اللغة العربية ودرس القرآن(2).

الرحلة الثانية 1872- 1874: وهي أشهر رحلاته، كلفته فيها المؤسسة العسكرية وغرفة التجارة باستكشافواستطلاع الطرق التجارية من الجزائر إلى عين صالح وخلالها قامباكتساب الكثير من الصداقات(3).

الرحلة الثالثة 1878: انطلق فيها يوم الجمعة 15 مارس 1878 من باريس باتجاه سيجو (Ségou) في إفريقيا الوسطى وذلك لعدة أسباب منها: أولا: معرفة الطرق التجارية الموجودة في الناحية الغربية للنيجر.ثانيا: إعداد بحث دقيق ومفصل لمملكة سيجو حول الإنتاج والاستهلاك مع السودان الشرقي، ومن أهم النتائج التي توصل إليها:

- أن مساحة الصحراء بين الجزائر والسنغال تعادل كل أوربا ما عدا روسيا.
- أن الصحراء مأهولة بالسكان ومزروعة وليست خالية.
- وجود الماء في السطح مثل سوف ومزاب حيث على عمق 60 متر تجد الماء.
- استقرار الإنسان حول الواحات الغنية(4).

رحلته من الجزائر إلى عين صالح: يقول بول صولييه أن الطريق من المحيط الأطلسي إلى البحر البيض المتوسط ثلثين فقط من مساحته مكتشفة، الثلث الأول من المحيط إلى تمبكتو اكتشف من طرف الرحالة الفرنسي روني كاييه (René caillié)(5) يوم 28 ماي 1828 وقد دخلها قبله رحالة وحيد وهو الميجور الإنجليزي غوردن لانج (Gordon Laing)(6)، كما دخلها الدكتور هنري بارث (Henri Barth)(7)، أما الثلث الأخر من البحر الأبيض المتوسط إلى واحة عين صالح اكتشفها هو بنفسه(8).

لقد كان حلم صولييه واسع جدا يتمثل في فتح وغزو المناطق الواسعة والمغلقة في إفريقيا، حتى يعطي لفرنسا شرف وامتياز السيادة الحضارية والتجارية على هذه المناطق الواسعة، مع هذا الهدف أمام عينيه بدا رحلاته

الاستكشافية ذات الطابع التجاري، متخذا من عين صالح مرحلته الأولى للتوغل إلى السودان الغربي.

في 16 سبتمبر 1872 انطلق صولييه من مارسليا واتجه أولا إلى الأغواط أين أقام بها إلى نهاية السنة، زار بعدها قصور جبل العمور وقضى شهر فيفري وجزء كبير من مارس 1873 كما زار منطقة مزاب، بعد هذه الرحلة الاستطلاعية في الصحراء الجزائرية أقام خلالها علاقات صداقة من اجل تسهيل رحلاته ومشاريعه لاكتشاف الصحراء، وفي أفريل 1873 تحصل على مهمة من الغرفة التجارية لمعرفة الطريق من الجزائر إلى عين صالح وتقديم لشعوب الصحراء الوسطى نماذج وعينات من منتوجاتهم المصنعة ومحاولة التعاقد مع بعض تجار الصحراء، وقد قام المستشار العام في الجزائر بإعطائه مساعدة مالية تقدر بـ 4000 فرنك، كما اسند إليه وزير الأشغال العمومية مهمة اكتشاف مناخ الصحراء(9).

غادر الجزائر واتجه إلى بوغار ثم قام بتتبع الطريق العام عبر الجلفة والأغواط، القافلة الصغيرة قامت بالدخول إلى غرداية يوم 29 جانفي 1874 حاملة معها رسالة توصية من السيد م.كريميو (M.Crémieux) رئيس المجمع العالمي الإسرائيلي، وقد استقبل جيد من طرف الجالية اليهودية المتواجدة في المدينة.

غادر صولييه غرداية ليتجه إلى متليلي ويجد الشيخ أحمد بن أحمد الذي طلب منه مرافقته إلى القليعة وعين صالح، وتموينه بالوسائل الضرورية للتنقل، فذهب معه إلى ورقلة ليطلب من أغا هذه الواحة سي محمد بن إدريس(10) رسائل توصية إلى الشخصيات التي يعرفها في توات، فمكث فيها ثلاثة أيام تعرف خلالها على المدينة، والتقى فيها بأحد الطوارق المدعو محمد بن حمادو حيث زوده بمعلومات هامة عن عين صالح وأخبره بأن بوشوشة قد توجه من عين صالح إلى واد سوف، وغادر ورجلان يوم 12

فيفري 1874 بعد ان تزود بالمؤونة، وتسلم رسائل من بن إدريس ليسلمها إلى سلطات عين صالح(11).

وفي طريق عودته إلى متليلي التقى صولييه بسي مولاي محمد شريف تافيلالت الذي أبدى رغبته في مرافقته إلى عين صالح، فوافق مباشرة وبحماس كبير، وفي اليوم الموالي أعطى صولييه الإذن للشريف مولاي علي الذهاب إلى أولاد سيدي الشيخ لإكمال مهمته الدبلوماسية، وفي الطريق اصطدم مع عدة قوافل نصحتهم بعدم محاولة التوغل إلى تيدكلت في هذا الوقت، لأن الأوضاع بها مضطربة جدا، لأن أكثر من قبيلة بربرية ثارت ضد قصور الواحات الأخرى، في القليعة نفس الإنذارات الجديدة تواصلت في التدفق ، فقرر صولييه الاستعجال في انطلاقه إلى عين صالح حتى يتجنب إثباط هؤلاء الأشخاص له في مهمته(12).

في 14 من شهر فيفري بدأ صولييه الاستعداد للسفر إلى الصحراء الحقيقية، وكتب رسائل إلى أهله وأمه يعلمهم فيها بأنه بدأ المغامرة، وغادرت القافلة المتكونة من حصانين وجمل يحمل الهودج، وثمانية جمال تحمل الزاد والأمتعة وخادمين والكاتب الخاص ومرافق يدعى قدور، وأربعة عشر حارسا مزودين بالسلاح وراع للجمال وطبيب القافلة، وبصورة عامة كانت القافلة تتكون من ستة وعشرين فردا وعشرة جمال وثلاثة أحصنة، خرجت القافلة من متليلي على الساعة الثالثة مساء يوم 16 فيفيري 1874 وكان في توديعهما القايد سليمان ومولاي علي والطالب محمد، قطعت وادي متليلي ثم شعبة سيدي الشيخ مرورا بوادي سبسب أين قضوا ليلتهم هناك، ثم واصلوا السير إلى أن وصلوا إلى وادي الطويل(13).

واصل صولييه طريقه مع أربع مرافقين هم "الشيخ أحمد بن احمد، قدور خادمه، محمد بن مسعود أخ قايد متليلي، وبافو (Bafou) مزابي من بن يزقن (غرداية)"، فقاده أدلائه واجتاز بسرعة هضبة الحمادة الواقعة جنوب

القليعة وهضبة تادميت، ولكنه لم يجد الوقت لتدوين ملاحظات علمية ورفع الحدود بشكل دقيق(14).

وفي 6 مارس 1874 دخل صولييه إلى قصر مليانة التي تقع في أقصى الشمال من واحة تيدكلت في مدة اثنين وعشرين يوما، ولكنه استقبل استقبلا غامضا، فأرسل إلى الشيخ عبد القادر رئيس واحة عين صالح رسالة من الغرفة التجارية في الجزائر مع قدور خادم الشيخ أحمد، ورسالة أغا ورقلة وقائد متليلي، ولكن رئيس واحة عين صالح كانت إجابته أنه إذا لم يغادر تيدكلت بأقصى سرعة فعقوبته ستكون الموت، وأشار إليه انه تحت حماية سلطان المغرب وأنه لن يترك فرنسا تتوغل إلى منطقته، هذا الجواب كان نتيجة مداولات جماعات مختلف قصور الواحات(15).

صولييه لم يخشى الموت وفي رسالة جديدة أعلن أنه لا يوجد له النية إطلاقا في التدخل في السيادة أو الحكم المغربي، وأنه أتى من أجل التجارة فقط وطلب منهم الإجابة فقط على رسالة غرفة التجارة للجزائر، شيخ مليانة حمل الرسالة الثانية التي بها رفض جماعة عين صالح وفي نفس الوقت طلب عبد القادر من صولييه المغادرة فورا وإلا أنه لن يتحمل رد فعل السكان إذا علموا بوجود فرنسي جديد عند أبواب الواحة، ولكن صولييه أراد أن يحاول من جديد التكلم مع الرئيس وبعث رسالة أخرى إلا أن مرافقيه رفضوا وخافوا من التهديدات(16).

بعض المدن الصحراوية من خلال رحلة بول صولييه:

لقد قام بول صولييه أثناء رحلته بتسجيل الكثير من الملاحظات حول المدن الصحراوية وكذا القبائل التي تسكنها وحتى الطرق التجارية الموجودة بها. ومن بين المدن التي كتب عنها:

1/ الأغواط(17): مدينة تبعد عن الجزائر العاصمة بـ 440 كلم، وهي مرتفعة بحوالي 780 مترا عن سطح البحر موجودة بالصحراء، وبنيت بين هضبتين في وسط رملي يعبر وادي مزي، محاطة بسور وبساتين مثل باقي الواحات في الصحراء(18)، ومن أشهر قبائلها نجد قبائل العرب، وأولاد سيدي عطا الله، والحرزلية، وأما من مدنها نجد تاجموت والحويطة والعسافية وعين ماضي وقصر الحيران، وهي مدينة قديمة تناوب على احتلالها المغاربة والأتراك، وقبل 1830 قاموا بدفع سبعة عبيد إلى داي الجزائر من أجل الحصول على حقوق شراء الحبوب من التل(19)، وسكان هاته الواحة مقسمين إلى ثلاثة أقسام:

❖ **العسكر:** وهي الفئة التي سيطرت على الإدارة والعدالة وكل الأعمال التي تهم الحكومة، فهي تشبه الإمبراطورية العثمانية، ويوجد بها قاضيان حسب المذهب (المالكي والحنفي) للفصل في النزاعات وتحرير العقود العامة، أما قضايا الرعايا اليهود والأوربيين فهي توكل إلى قاضي حاكم المكان(20).

❖ **المدنيون:** وهم يشتغلون بالتجارة خاصة في بيع الحاجيات الاستهلاكية كالتوابل اللحم والخبز، ماعدا أمين الخزينة والبريد والمكلف بالخطوط التليغرافية فهم من الأوربيين، كما يوجد بعض الحرفيين كالبناءينوالنجارين والإسكافيين وصانعي الأقفال... إلخ(21).

❖ **الأهالي:** وهم يشكلون أغلبية السكان وهي أهم طبقة في المجتمع الأغواطي.

والأغواط مركز تعايش فيه الجميع من يهود وعرب ومزاب، فالمزابيون يعيشون في قصور وتساهم نساؤهم في غزل وغسل وتنظيف الصوف والوبر بأرجلهم بوادي مزي، وبعد ذلك تعرض على الشمس هاته الصناعة

النسيجية، وهي تعتبر مورد مهم بالنسبة لهم في صناعة الحايك والبرنوس(22).

2/ بني مزاب: و هي عبارة عن كونفديرالية مكونة من سبعة قصور تقع في أربع واحات, تقع على بعد 600 كلم جنوب الجزائرتحدها الأغواط من الشمال ومتليلي من الجنوب، أولى واحاتها من الشمال هي بريان موقعها الفلكي حدد سنة 1850 من طرف م.رونو (M.Renou) يوجد بها حوالي 4 إلى 5 آلاف ساكن تنتج أحسن أنواع التمور في كل مزاب. على بعد 40 كلم بعد بريان تأتي مزاب ويوجد بها حوالي 30 ألف ساكن ومقسمة على أربع قصور يبعد كل قصر عن الآخر بـ 4 إلى 6 كلم، وهي تشكل مربع ومبنية فوق رابية، وهذه القصور هي(23):

في الشمال: غارداية بها حوالي 16 ألف ساكن، ثلثيها ليسوا مزابيين وهي القصر الوحيد الذي به يهود وهم حوالي 50 إلى 60 عائلة، في حي مفصول وهناك سوق أسبوعي مهم بها، كما يوجد بها حدائق جميلة.

في الغرب: بن يزق نبها حوالي 10 إلى 12 ألف ساكن كلهم مزابيين، وهي مزدهرة جدا والتجارة مهمة ، كما يوجد بها العبيد وخاصة النساء اللواتي يجلبهن رجال عين صالحمن السودان.

في الجنوب: تقع بونورة ومعناها (أب الضوء) وهي أهم مدينة في هذه الكونفديرالية، ولكنها هدمت نتيجة فتنة وقعت بين السكان، لا يوجد بها أكثر من ألفين شخص أغلبهم من سكان القصور المجاورة.

في الجنوب الغربي: هناك مليكة وهي المدينة المقدسة عند المزابيين، وبها إقامة الشيخ بابا، أما السكان فهم حوالي 4 إلى 5 آلاف ساكن، وعدد قليل منهم من الشعامبة أصولهم من متليلي.

في الجنوب الشرقي: توجد واحة العطف يسكنها حوالي 5 إلى 6 آلاف ساكن، وما يلاحظ في كل واحات المزابيين وجود الحدائق الجميلة والمزروعة جيدا.

في أقصى الجنوب: على بعد 60 كلم من واحة العطف تقع واحة القرارة في موقع ملفت للنظر ورائع سورها نصفه من الرمل، كما يوجد بها مساكن مرتفعة مبنية من أربع طوابق على الأغلب هي الوحيدة في الصحراء، بها حوالي 7 آلاف ساكن(24).

مثل كل البربر بني مزاب أقبلوا على الإسلام مثل كل شعوب إفريقيا الشمالية، وقد أورد صولييه تاريخهم منذ اعتناقهم للإسلام إلى غاية زيارة لهم، وعاداتهم وتقاليدهم في الزواج كما أشار إلى عدم تزوجهم من الأجانب، وإلى القضاء وكثرة أسفارهم، واشتغالهم بالتجارة، وعلاقاتهم التجارية الكثيرة بالشعامبة والتواتيين والسودانيين وغيرهم.كما أشار إلى اشتغال نسائهم بالنسيج لصناعة الحايك والبرنوس والسجادات، والتي تجدها منتشرة في كل مدن إفريقيا الشمالية والصحراء(25).

3/ الشعامبة: مفردها شعامبي وهم يشكلون قبيلة كبيرة يشغلون المنطقة الصحراوية الكبيرة من ورقلة والقليعة ومتليلي، يتفرعون إلى أربع أقسام، قسمين هما شعامبة المخادمة وشعامبة الرياح، وهم موجودين بورقلة، وشعامبة موهادي شرق القليعة، والرابعة هم شعامبة برازقا بمتليلي، وقد تعرف صولييه أثناء إقامته بالأغواط وبني مزاب بشخصيات مهمة من هذه القبيلة التي تملك الطريق التجاري من الجزائر إلى تيدكلت(26)، وقد اقترح عليهم إكمال رحلته الاستكشافية بعبور الصحراء، وقبائل الشعامبة هم رحل، ولديهم قطعان كثيرة ولا يبتعدون كثيرا عن المدن التي يتواجدون بها(27)، وهم يرتحلون مرتين في السنة للتخييم حول الواحات الأولى عند زج صوف الأغنام، والثانية عند قطاف التمر.

ثروتهم تتمثل في الحدائق والمساكن وقطعان المعز والأغنام، والجمال، وعدد كبير من الحمير وبعض المال المخبأ في منازلهم، كل قبيلة الشعامبة يعرفون رؤوساء ومرابطي أولاد سيدي الشيخ، حيث يقومون بدف الزيارة لهم (وهي ضريبة دينية)، أما اليوم فالشعامبة يقوم بإدارتهم قايد يعين من طرف الفرنسيين(28).

4/ ورقلة: كانت أولى البعثات الاستكشافية إلى ورقلة بعثة الرحالة الجنرال دوماس (Daumas) الذي زار المنطقة سنة 1842، حيث حدد موقعها الجغرافي ووصف مدينة ورقلة والقصبة وحدد أبواب المدينة، كما وصف بيوتها وعدد الديار والمواد المستعملة في البناء من البن وجذع النخل وسعفه، وأشار إلى مختلف قبائل المجتمع الورقلي ونشاطهم وإلى مختلف العملات المتداولة في الأسواق، فضلا عن ذكر عمليات التبادل التجاري الداخلي والخارجي، واهم المنتجات الصادرة والواردة، كما تطرق إلى قصر نقوسة بوصف نمطه العمراني، وحدد عناصر سكانه وعدد دياره وتعداد سكانه(29).

كما زارها أدريان بربروجر (A.Berbrugger) (30) عام 1850 في إطار استكشاف الخط الصحراوي، كما استعرض ترومبلي (Trumelets)(31) من خلال زيارته لورقلة سنة 1853 قصبتها واصفا نمطها العمراني، وأعراشها الثلاثة "بني سيسين، بني وقين، بني إبراهيم وحدد أبواب المدينة وأشار إلى عدد السكان ونشاطاتهم وأوضاعهم الاجتماعية ومختلف القرى والقبائل فيها.

وفي مطلع الستينات زار الرحالة هنري دوفيرييه (H.Duveyrier) (32) ورقلة وهو في طريقه إلى نحو بلاد الهقار قادما من تونس عن طري قوادي سوف ووادي ريغ، حيث مكث يوما واحدا استكشف فيه مدينة سدراتة الأثرية، وفي سنة 1873 نظم صولييه رحلة إلى الجنوب ليصل إلى

مدينة ورقلة صباح يوم 9 فيفري 1873 على الساعة السابعة مستقبلا من طرف أغا المدينة، وأقام فيها لمدة 3 أيام تعرف حلالها على عادات وتقاليد السكان وأهم لهجاتهم اللغوية، وقد وصفها بأنها مدينة بنيت وسط غابة نخيل، وهي الأكثر من حيث النخيل في كل واحات الصحراء حوالي خمسة آلاف نخلة، يسكنها الزنوج الذين يلبسون القليل من الملابس و رؤوسهم عارية والبعض منهم يضع قبعات سيئة الصنع، وهم يحلقون رؤوسهم بشكل غريب، أطفالهم عراة تقريبا، كما يسكنها أيضا البيض وهم الشعامبة وبني مزاب، ولكنهم يغادرون المدينة خلال موسم الحر، فأغا الصبايحية ملزم للجوء إلى باب المنديل على بعد خمسة كلم في الشمال الشرقي للمدينة حيث يوجد برج كبير(33).

ورقلة مدينة تقع في منخفض وهي منذ قرون تعتبر مركز تجاري مهم حيث يملكون تجارة كبيرة وهم يتاجرون دائما مع أغاديس والسودان، وبها حوالي 100 ألف ساكن، تجارتهم تعتمد على إنتاج التمر وصناعة القماش، وبعض المنتوجات الأوربية والقهوة والسكر ...إلخ، التي تأتي إلى ورقلة عن طريق منطقة مزاب(34)،وفي يوم 12 فيفري غادر صولييه المدينة متوجها إلى عين صالح، بعدما تزود بالمؤونة.

5/ القليعة (المنيعة): أول من زارها هو هنري دوفيرييه في شهر سبتمبر 1859 الذي أظهر شجاعة كبيرة بقيامه بهذا، وقد دون ملاحظاته الفلكية عن موقع المدينة حيث تقع بين خطي عرض 30° و32.12° و47.31 شرق خط غرينيتش وتقع على ارتفاع 402 متر.القليعة تسمى أيضا المنيعة وتاهورة والشعامبة احتفظوا بالاسمين الأوليين فأطلقوا اسم المنيعة على كل الواحة، واسم القليعة على القصر فقط، والمنيعة بالفرنسية معناها الممر أو شيء متواصل، أما حسب دوفيرييه فاسمها معناه الغابة الصغيرة(35).

وهذه الواحة تتشكل من ثلاث أقسام منفصلة هي قصر على قمة صخرة منفردة على شكل قطعة سكر، وقرية الزنج في الأسفل، وغابة من النخيل. فالقصر محاط بسور مبني بحجارة كبيرة، وبه فتحة واحدة في الزاوية تشكل المدخل، وبه بئر يقع بالقرب من الباب عمقه ثلاثون متر، وبها شارع واحد، وحول السور يوجد مقبرة للعرب، وعند أسف الصخرة يوجد مدينة تسكنها 50 عائلة بربرية زنجية، كما يوجد أيضا بها قبر الولي الصالح سيدي الحاج بوحوص(36).

سكان واحة القليعة ينقسمون إلى قسمين الرحال وهم يتكونون من شعامبة المنيعة و وبعض أولاد سيدي الشيخ، والمقيمون وهم من البربر الذين لهم بشرة سوداء مثل سكان قورارة وورقلة ويسمون الرواغة، وجزء أخر وهم زنوج السودان الغربي وهم عبيد، وكلا القسمين يعيشون في وفاق تام وترابط، أما الأكثر عددا فهم الرحال وكلهم يتكلمون اللغة العربية، وتعبر الواحة القوافل التجارية المتجهة لعين صالح وتميمون القادمة من مزاب، وتجلب هذه القوافل معها المؤون الضرورية للسكان(37).

6/ عين صالح: هذه الواحة تتوسط الصحراء حيث لها نفس المسافة من الجزائر شمالا وتمبوكتو(38) جنوبا وموقادور غربا وطرابلس شرقا، وهي في علاقات دائمة معهم وهو ما زاد في أهميتها التجارية بحيث تعتبر مستودع لجميع البضائع لتموين تمبوكتو والسودان الغربي وإفريقيا الشمالية(39)،هذه المدينة تنتمي إلى تيدكلت في أقصى الجنوب وهي تتكون من خمس واحات وتشكل أرخبيلا، وهو ما سماه الجغرافيون الأوربيون توات(40)، وتيدكلت عند الأهالي تبدأ من بئر زرارة، أما الجغرافيون الأوربيون فيرونا أنها تبدأ الكثبان الرملية للقليعة، وجزء كبير من سكانها هم من البربر لهجتهم مثل لهجة القبائل وبن مزاب والطوارق.

مدينة عين صالح مثل باقي المراكز البربرية تخضع لحكم الجماعة أي مجلس يقوم بتسيير شؤونها، إلى جانب رئيس القبيلة وهو أمير أولاد باجوده من أولاد حمو، وهم ذو أصول عربية، والرئيس الحالي للواحة هو عبد القادر، جزء من سكان الواحة هم من العبيد ويشكلون فئة خاصة، تعرف باسم عترية (Atria)، وهم أطفال العبيد الذين ولدوا في الواحة إلى جانب الطوارق من مختلف القبائل الذين يلجأون إلى الواحة في وقت قطاف التمر، وهناك زقومار (Sgomares) وهم من الطوارق أيضا يسكنون أكواخ مصنوعة من أغصان النخيل(41).

نتائج رحلة بول صوليبه الإستكشافية(42):

1- اهتمامه بدراسة الإمكانات الاقتصادية التي تتوفر عليها هذه المناطق، والتعرف على المظاهر الجغرافية الطبيعية، وعلى مصادر المياه والثروات الزراعية، وذلك بهدف استغلالها والاستفادة منها خلال التوسع وبعده، وبفضل ذلك تم إنجاز مجموعة من الدراسات والأبحاث.

2- تحقيق الهدف التجاري للاستعمار الفرنسي من خلال تسويقه لمنتجات الغرفة التجارية في المناطق الصحراوية وإنشاءدراسات مضبوطة للأسواق التجارية بها.

3- اقتراحه إنشاء مخازن بالأغواط كمستودع للبضائع الأوربية التي يحتاجها سكان المناطق الداخلية، لأنها آخر مدينة محتلة من طرف فرنسا كما أنها قريبة من عين صالح أكثرمن غدامس في الشرق.

4- معرفة التركيبة الاجتماعية لسكان الصحراء، ونمط الحكم عندهم والتعامل فيما بينهم.وأهم الإثنيات العرقية الموجودة بالمنطقة.

خاتمة: لم تلق هذه العمليات الاستطلاعية إلى ذلك الحين شيئا من الحواجز لأن رؤساء تلك المناطق وسكانها، وحتى الرحل أنفسهم كانوا يرون في هذا التصرف فرصة لربط علاقات متوازنة بفضل الوحدة القديمة بين التل والصحراء، ولكن الواقع كان غير ذلك إذ أن الجيش كان يعقب مباشرة تلك البعثات التجارية، وفي حالة وصول الجيوش قبل البعثات فإنها تشرع في استقصاءالأسواق لفائدة الاستعمار التجاري، وفي نفس الوقت تقوم بالتعرف على القوة العسكرية المحلية، وهو الأمر الذي أنيط ببعض الدراسات مثل دراسة دوماس (Daumas) بعنوان "الصحراء الجزائرية" سنة 1842م، أو دراسة دي كولومب (De Colomb) بعنوان "اكتشاف القصور وصحراء جهة وهران" سنة1858م.

الهوامش:

1 - Narcisse Faucon, Livre d'Or De L'Algerie, Paris, 1889, p280.

2 - Pual Soleillet, Exploration du sahara Centrale «Avenir De La France En Afrique, Challamel Ainé, Librairé éditeur, Paris, 1876, p7.

3-Paul Soleillet, L'Afrique Occidental e « Algarie, Mzab, Tidikelt »,Avignon, Imprimerie De F Seguin Ainé, 1877, p .10

4 - Gabriel Gravier, Voyage a Sègou « Rédige d'après Les Notes Et Journaux De Voyage De Soleillet, Challamel Ainé, Paris, 1887, p 8.

5 - **روني كاييه:** هو ابن أسرة فقيرة تعلم في مدرسة خيرية، وبعد ذلك تدرب على الأعمال التجارية، وفي سن 16 ترك تجارته وذهب إلى البحر في سفينة كانت متجهة إلى السنغال، وقد زارها للمرة الثانية سنة 1824 محاولا اكتشافاها فزوده الحاكم الفرنسي بالسلع والمؤن ومكنه من البقاء في السنغال وقتا كافيا، وكانت فكرته تتمثل في أن يسافر بمفرده وهو متنكر بزي رجل ورع مسلم، ودخل غرب إفريقيا وصولا إلى تمبوكتو وقام بتدوين ملاحظاته عليها. ينظر: جوزفين كام، **المستكشفون في إفريقيا**، تر: السيد يوسف نصر، مر: محمد على وقاد، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص143- 146.

6 - **غوردن لانج:** اشتهر برحلاته الاستكشافية ومغامراته داخل إفريقيا، وقد طلبت منه الجمعية الإفريقية أن يلتحق بمدينة تمبوكتو وينضم إلى رحلة كلابرتون الموجودة في سوكوتو، لذلك غادر لندن سنة 1825 للوصول إلى طرابلس، وفي 18 أوت 1826 وصل إلى تمبوكتو ثم غادرها بسرعة لكونه مسيحيا غير مرغوب فيه من جهة، واعتقد أنه من الجواسيس الذين يكشفون أسرارهم ويقدمونها إلى القوات الأجنبية المعادية من جهة أخرى. وبعد انضمامه للقافلة المغادرة للمدينة وبمجرد انطلاقها قتله قائدها، وأحرق جميع أوراقه ومذكراته ولم يصل منها شيئا إلى أوربا، وذلك بسبب مرضه بالطاعون، ينظر إبراهيم مياسي، **قبسات من تاريخ الجزائر**، دار هومه، الجزائر، 2010، ص81.

7 - **هنري بارث:** ولد في حضن عائلة عريقة من ملاك الأرض من ولاية ثورينج، وبعد مراحل الدراسة الأولى التحق بجامعة برلين (1839- 1844) حيث درس الفلسفة وفقه اللغة وعلم الحفريات، حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1845، وقام برحلة كبيرة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وقد استطاع القيام برحلته الشهيرة في إلى

غرب إفريقيا انطلاقا من ليبيا ما بين 1850- 1855 زار خلالها المناطق الواقعة ما بين الباغيرمي وتمبوكتو. ينظر إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 74- 76.

8 - Paul Soleillet,L'Afrique Occidental e « Algarie, Mzab, Tidikelt », p130.

9 - P.Vuillot, L'Exploration Du sahara « Etude Historique Et Géographique », Pr : Colonel Polignac, Augustin Challamel, Paris, 1895, P 126.

10- **الأغا بن غدريس:** هو محمد بن الحاج إدريس ضابط سابق في الجيش الفرنسي، يعود أصله إلى بدو بسكرة درس في المدرسة الفرنسية، فتأثر بالحضارة الغربية وأحسن اللغة الفرنسية كتابة ونطقا وتزوج من فرنسية، عينته فرنسا حاكما منذ مطلع السبعينات من القرن 19، شيد قصره على ربوة في بامنديل تحيط بها الحدائق من كل الجهات كان يزرع فيها حتى القطن، ينظر: Paul Soleillet, Voyage de Paul Soleillet d'alger a l'oasis d'In Salah, Rapport de Chambre commerce d'Alger, Alger, 1875, p49.

11- Paul Soleillet,L'Afrique Occidental e « Algerie, Mzab, Tidikelt », p205.

12 - P.Vuillot, Op-Cit, p127.

13 - Paul Soleillet, Op-Cit , 206-207.

14 - Ibid, p238.

15 - P.Vuillot, Op-Cit, p128.

16 - Ibid, p 129.

17 - **الأغواط:** وهي جمع لكلمة غوط التي تعني المساكن المحيطة بالبساتين، ويرى ابن خلدون أنهم فخذ من قبيلة مغراوة في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هناك قصور مشهورة بهم، لهذا يطلق على سكان هذه المنطقة ببني الأغواط، إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837- 1934**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص43.

18 - Paul Soleillet, Op-Cit, p5.

19 - Daumas, Duc De Dalmatie, LeSaharaAlgérien, Langlois Et Leclercq, Fortin Masson Et Cie, Paris, 1845, p17.

20 - Paul Soleillet, Op-Cit, p9.

21 - Ibid, p11.

22 - Paul soleillet, Op-cit, p16.

23 - Ibid, p69.

24 - Paul soleillet, Op-cit, p70.

25 - Ibid, p71.

26- **تيدكلت:** تعني بالأمازيغية كف اليد، وهو ما ينطبق على تضاريسها، حيث تتواجد بلدة عين صالح وسط مقعر أرضي محاط بمرتفعات من كل جهة، وكأن المنطقة كانت حوضا في العصور السالفة.

27 - Paul Soleillet, Op-Cit, p 85.

28 - Paul Soleillet, Op-Cit, pp86-87.

29 - Daumas, Op-Cit, pp72-88.

30 - **أدريان بربروجر:** هو عضو في لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر باعتباره مختصا في مجال التاريخ وعلم الآثار، اهتم منذ البداية بدراسة الآثار الرومانية ثم الإسلامية، من أبرز أعماله جمع المخطوطات من تلمسان وقسنطينة وغيرهما من المدن التي زارها، كما ساهم في تأسيس نواة المكتبة الوطنية في عهد كلوزيل 1835، كان أيضا مديرا لجريدة المونيتور، ومؤسسا للجمعية التاريخية الجزائرية، ورئيسا لتحرير المجلة الإفريقية، ومن أبرز كتاباته الأثرية: الجزائر التاريخية، والمصورة والتذكارية، وقد توفي سنة 1869، ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج6، ص85.

31- **ترومیلي:** عالم وضابط فرنسي من مواليد 1820 برايمس مارن (Reims Marne)، انخرط في صفوف كتيبة المشاة سنة 1839، وقد جاء إلى الجزائر سنة 1851، وبقي بها حوالي 25 سنة، كما أصبح عضوا بجمعية الشباب الأدبي سنة 1872، وتحصل على وسام الشرف من الحكومة الفرنسية، ينظر: Narcisse Faucon, Op-Cit, pp 603-609.

32 - **هنري دوفيربيه:** مستكشف جغرافي ولد سنة 1840 اهتم بالاستكشاف العلمي وعمره لا يتجاوز عشرين سنة، وبدا أول رحلة سنة 1859 من قسنطينة باتجاه وادي مزاب وقد استطاع أن يتحصل على الميدالية الذهبية من الجمعية الجغرافية الفرنسية في باريس سنة 1864، بفضل كتابه الذي ألفه عن الصحراء والذي فيه فواد جمة عن

الصحراء،ألف عدة كتب خاصة بالصحراء.ينظر: Narcisse Faucon, Op-Cit, pp 244.

33 - Paul Soleillet, Op-Cit, pp 185-186.

34 - Ibid, pp 187-188.

35- Paul Soleillet, Op-Cit, p229.

36 - Ibid, pp 230-231.

37 - Ibid, p 232.

38 - **تمبوكتو (Tombouctou)**: هذه المدينة المشهورة تأسست في القرن 5هـ/11م من طرف قبائل إيموشار (Imoscharh) الطوارق وتمركزوا فيها، يبلغ عدد سكانها حوالي 12 ألف ساكن كلهم تجار، ومن المحتمل جدا أن جزءا من سكان المدينة ينتمون إلى قبيلة صنغاي، وهو ما يقودنا إلى القول أن اسم تمبوكتو مشتقة من لغتهم والتي تعني الجسم (Corps) أو التجويف (Cavité) وهي الحفر الموجود في الكثبان الرملية للبلاد، والإيموشار غيروا الاسم إلى تومبيتكو (Toumbutkou) ومع الوقت أصبح تومبوتكو (Toumboutkou)، أما العرب اليوم يكتبونها وينطقونها تيمبوكتو (Timbouktou) أو بالتحديد أكثر (Tinbouktou)(، ينظر: Henri Barth, - Voyage Et Découvertes Dans l' Afrique Septentrionale Et central pendant les Année 1849 A 1855, T4, Tr Paul Ithier, Firmin Didot Frères fils Et cie, Paris, 2 ed, 1863, pp 05-06.

39 - Paul Soleillet, Op-Cit, p 251.

40 - اختلف المؤرخون حول أصل تسمية "توات" فحسب عبد الرحمن السعدي أن سلطان مالي كنكان موسى اتجه للحج رفقة جماعة من أهل بلده، ولما وصلوا لهذه المنطقة أصيب بعضهم بمرض معروف عندهم باسم توات، فسميت بذلك، أما أحمد العماري فيقول أن اسم توات بربري الأصل ويعني الواحات، خاصة وأن معظم قصور توات اسمها بربري الأصل مثل تمنطيط، تميمون، ينظر: زهرة مسعودي، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م**، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار السنة الجامعية: 2010/2009، ص ص29- 30.

41 - Paul Soleillet, Op-Cit, pp 253-260.

42- بوباية عبد القادر، **دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية**، مجلة عصور، جامعة وهران، ع 5/4، ديسمبر 2003/جوان 2004.

الملاحق:

PAUL SOLEILLET.
(Juin 1874)
d'après une photographie de James Geisser d'Alger.

صورة للمستكشف الفرنسي بول صوليه، أخذت سنة 1874 في الجزائر من طرف المصور الفوتوغرافي جايمس قيسر، ينظر: Paul Soleillet, **L'Afrique Occidental e « avenir de La France En Afrique »**,Avignon, Imprimerie De E Seguin Ainé, 1877, p1.

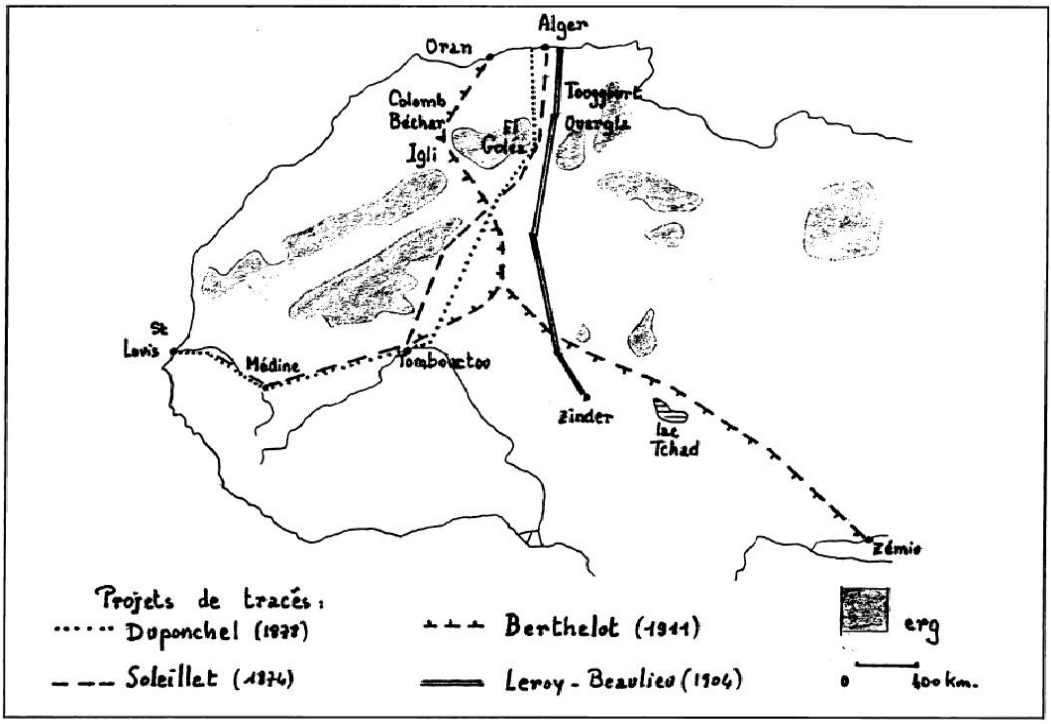

خريطة توضح طرق بعض الرحالة والمستكشفين الأوربيين في إفريقيا ومن بينهم طريق المستكشف بول صوليبه من الجزائر إلى سيجو ، ينظر: Monique Lakroum, **LesProjets Français de Transsaharien (19e et 20 e Siècles)**, Un Challenge Pour L'Industrie, p301.

Alger le 8 juillet 1874.

À Monsieur le Président de la Chambre de commerce D'Alger.

Monsieur le Président,

J'ai l'honneur de vous remettre, ci-joint, lecompterendudu voyage fait par moi pour la Chambre de Commerced'Alger à l'Oasis d'In-Salah (Touat).

C'est à une collaboration dévouée que je suis redevabled'avoir pu présenter dans un laps de temps relativementcourt un travail de l'importance de celui que j'ail'honneurde vous adresser.

Vous reconnaîtrez dans le récit de ce voyage la plumeexercée d'un de nos plus sympathiques publicistesAlgériens,cette de mon ami Monsieur Paul Mollat, ancien rédacteuren chef de l'Akhbar, qui, après m'avoir préparé lesvoies dans son journal, vint, en m'aidant à la raconter, decompléter le chaleureux appui qu'il n'a pas cessé de donnerà mon exploration.

Présenter à la Chambre de Commerce les faits danstoute leur simplicité, tel a été le but que je me suis